

# حرب التتار للخلافة العباسية ببغداد ج 1

الكاتب: راغب السرجاني



## الحصار الاقتصادي وال العسكري النفسي على بغداد

أول هذه المقدمات حصار يضرب حول بغداد؛ لإضعاف الحالة الاقتصادية والعسكرية والنفسية، وشارك في هذا الحصار التتار وحلفاؤهم من الأرمن ومن المسلمين.

وهكذا ضرب الحصار في (13) محرم سنة (656هـ)، ثم طلب هولاكو الرسل للمفاوضات، فأرسل له الخليفة المسلم رسولين للمفاوضات، والعجيب أن الرسول الأول هو الوزير العلقمي الشيعي، والرسول الثاني: البطريرك المسيحي في بغداد.

## تسليم الخليفة العباسي زعيمي فكرة الجهاد في بغداد وأتباعهما لهولاكو

كان الطلب الأول الذي طلبه هولاكو: تسليم مجاهد الدين أبيك سليمان شاه، اللذين كانوا يتزعمان فكرة الجهاد في سبيل الله في بغداد، ولكن الخليفة رفض هذه الفكرة وعلم هولاكو من مؤيد الدين العلقمي خطورة هذين فطلب تسليمهما، فوافق الخليفة العباسي على تسليمهما استرضاءً للتنمار، وبعث بالرجلين، لكن هولاكو الخبيث أراد تفريغ بغداد من المجاهدين فأعادهما وقال: ابتعوا معهما أتباعهما لنفيهم إلى الشام، وقال: نحن فقط سننفيهم إلى الشام، ووافق الخليفة وجمع لرسل هولاكو كل الناس الذين كانوا مؤيدين لفكرة سليمان شاه ومجاهد الدين أبيك، وبعثهم لهولاكو لكي ينفيهم إلى الشام، وانتهز بعض الجبناء من المسلمين الفرصة، وطلبو من الخليفة أن يخرجوا مع الوفد، لكي ينفوا للشام، وفي نظرهم أن هذا أحسن لهم من محاربة التنمار، ووافق الخليفة على ذلك، وخرج الوفد الكبير سليمان شاه ومجاهد الدين أبيك وأتباعهما، وأولئك الجبناء الذين طلبو النفي إلى الشام اختياراً، وسلمتهم هولاكو، فقام هولاكو؟ فقتلهم جميعاً، فكانت خيانة عظمى وجريمة

كبرى! ولكنها خيانة متوقعة.

وهكذا دبّ الرعب في أوصال الخليفة العباسى المستعصم بالله ، وأدرك في لحظة كانت واضحة لكل أهل الأرض من أن هؤلاء لا عهد لهم ولا أمانة، ولكن هذا الإدراك كان متأخراً جداً بعد أن فرغت بلاد المسلمين من الصفو.

### رسالة من هولاكو بتزويج ابنته من ابن المستعصم مقابل شروط جديدة

جاءت رسالة جديدة من هولاكو تجدد الامال في نفس الخليفة، وهي وعود جديدة من هولاكو وفيها تزويج ابنة هولاكو لابن المستعصم بالله، وعلى أن يبقى المستعصم بالله في منصب الخليفة، والأمان لأهل بغداد جميعاً! لكن ما هي الشروط التي يميلها زعيم التتار على خليفة المسلمين؟  
أولاً: تدمير الحصون العراقية.  
ثانياً: ردم الخنادق.

ثالثاً: تسليم الأسلحة، السيوف والخيول.

رابعاً: الموافقة على أن يحكم خليفة بغداد العراق تحت رعاية تترية، ثم أن يخرج له الخليفة المستعصم بالله هو ومن معه من كبار رجال الدولة والعلماء والفقهاء وأولاد المستعصم ، وبالذات الولدين الكبار: أحمد وعبد الرحمن؛ وذلك لأن واحداً منهم سيصير زوجاً لبنت هولاكو ، ويعدون استقبلاً كبيراً لهولاكو لدخول بغداد، وختم هولاكو كلامه بأنه ما جاء إلى هذه البلاد إلا لإرساء قواعد العدل والحرية والأمان، وب مجرد أن يطمئن على هذه المعاني السامية سيعود مباشرةً إلى بلاده.

رحمة من هولاكو عليه لعنة الله، ومع أن سيوف التتار لم تجف بعد من دماء مئات الآلاف من المسلمين، وآخر هؤلاء مجاهد الدين أبيك وسليمان شاه ، إلا أن الخليفة العباسى لم يجد بدًّا من أن يسمع ويطيع.

لماذا لم يحارب الخليفة العباسى التتار حين رأى الصورة واضحة؟  
ما إذا سيخسر لو أنه مات مرفوع الرأس أو عاش عزيزاً ملكاً على بلاده، لكن الهزيمة النفسية الداخلية كانت أشد من أن ينتصر عليها الخليفة.

إن أهل بغداد في ذلك الوقت كانوا قد تجاوزوا المليونين، ولكن كانوا غثاء كغثاء السيل، فقد كان جيش التتار المحاصر لبغداد مائتي ألف فقط، ولو كانت في قلوب المسلمين حمية لقاموا إليهم ولفتكوا بهم بأيديهم لا بسيوفهم ورماحهم، ولكن ماتت أرواح المسلمين قبل أن تموت أجسادهم!

## دور الإعلام الإسلامي في مضاعفة المأساة وإضعاف معنويات المسلمين في ذلك الوقت

العجب أن الإعلام الإسلامي في ذلك الوقت كان يضعف من المأساة، ويزيد من حرج الموقف! فقد انتشرت الإعلانات عن جيوش التتار واستعداداته وإمكانياته ومعجزاته، فقد وجد في كتابات الأدباء والشعراء وأصحاب الأقلام في ذلك الوقت كلام عجيب، من ذلك قولهم: التتار تصل إليهم أخبار الأمم، ولا تصل أخبارهم إلى الأمم.

التتار إذا أرادوا جهة كتموا أمرهم ونهضوا دفعة واحدة، فلا يعلم بهم أهل بلد حتى يدخلوها.

التتار نساؤهم يقاتلن كرجالهم.

التتار خيولهم تحفر الأرض بحوافرها -يعني: حتى الخيول تخترق الأرض، وتأكل عروق النبات لا تحتاج إلى شعير ولا تمويل.

التتار لا يحتاجون إلى الميرة والمئون، والميرة: التي هي المواد المغذية للجيش؛ وذلك لأن معهم الأغنام والأبقار والخيول.

التتار يأكلون جميع اللحوم ويأكلونبني آدم، هذا الكلام فعلًا كان مكتوبًا في كتبهم.

اجتياح هولاكو بغداد وقتله الخليفة وأبناءه وكبراء قومه من الوزراء والعلماء رضخ الخليفة الضعيف المستعصم بالله ، وخرج هو وكبراء قومه وأبناءه إلى لقاء هولاكو ، وهناك أمسك هولاكو بال الخليفة وقتل كل من معه في لحظة واحدة، فكان غدرًا فظيعًا من هولاكو ، وهو أمر متوقع تماماً، ولكن هولاكو أبقى على حياة الخليفة المستعصم بالله ؛ لكي يعلمه بمكان كنوز العباسيين،

أين كنوز الأجداد التي جمعت على مدار خمسة قرون سابقة؟ قاد هولاكو الخليفة أمامه يرسف في أغلاله، ودخل به بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ما يزيد على خمسة قرون، فكم من الجيوش خرجت لتجاهد في سبيل الله من هذا المكان؟ كم من العلماء جلسوا يعلمون الناس دينهم في هذا المكان؟ أواه يا بغداد لم يبق لك أحد، أين خالد؟ أين القعقاع؟ أين النعمان؟ أين المثنى بن حارثة؟ أين سعد بن أبي وقاص؟ أين الحمية في صدور الرجال؟ أين النخوة في أبناء المسلمين؟ أين العزة والكرامة؟ أين الذين يطلبون الجنة؟ أين المقاتلون في سبيل الله؟ لا أحد، فتحت بغداد أبوابها على مصراعيها، لا مقاومة، لا حراك، لم يبق في بغداد رجال، ولكن فقط أشباه رجال.

---

الكلمات المفتاحية:

#التار#الدولة-العباسية

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.